

من

مسيرات
علاء الدين
الشبلي

٣٤

دكتور أيوب

[دكتور أيوب]

سأدعُ بعد قليل من هو أكثر منِّي حباً له - على الرغم من سطوته عندي" وأكثر دراية به يتكلم عنه إلا أنني سأذكر عنه بعض ما أعرفه عن هذا الجبل من الأداب والأخلاق.

عرفتُ الرَّجل بعد أحداث الفلوجة الأولى بنحو شهر تقريباً، إذ أتى إلى بيتي مع أخ قديم حبيب، وعرفه لي بإسم " أبو أيوب"، ثم طلب مني أبو أيوب أن يقوم بعملية استشهادية، وأردف طلبه بالرجاء ألا يطول عليه الوقت، فوعده خيراً، ولما همَّ بالانصراف همس في أذني رفيق ثالث كان معهما: إن الرَّجل طيب ويمكن الاستفادة منه، ووالله حق، وعندها رجعت عن رأيي في موافقته في أن ينفذ، ثم اتفقت مع دكتور " أبو أيوب" أن يعمل للأخوة دورات إسعافات أولية، واتفقتُ معه على الوقت، وبالفعل صوّر كتاباً خاصاً بهذا الأمر وأحضر جميع الأدوات اللازمة لذلك وبدأ عمله.

وفي أثناء ذلك كان الرَّجل ناشطاً جداً في احضار تبرعات الدواء وكل ما يمت إلى الطب بصلة. ثم أنه لم يكتف بذلك بل بدأ بشراء السلاح للأخوة وكان له في ذلك المغامرات المشهورة نظراً لقلة خبرته بالطرق وبأخلاق أصحاب سوق السلاح.

فإن من المفترض أن يكون الدكتور أبو أيوب في الفلوجة أثناء أحداثها الثانية لكنه ذهب يحضر بعض الأشياء وحُرِّم من الدخول.

ثم التقيت به بعد خروجنا وبدأ في نشاطه المعتاد، إلا انه بدأ أكثر إلحاحاً على عملية استشهادية، ولكني كنت أمنعه نظراً لفائدته الكبيرة للأخوة سواء أكان في مجاله الطبي أم خبرته الواسعة في الكمبيوتر والإنترنت. غير أن الرَّجل بدأ يشهد حبه وشوقه للعمل الاستشهادي، ولم يعد له صبر، حتى أنه قال إذا لم تأذن لي قد أذهب ولا آتي إليك، ولعلي أنفذ في مكان آخر ولا يكونوا أمناء عليّ فلا تحرمني من الأجر. وكنت أحاول تأجيله إلى أن لنتُ له على الرغم من حاجتي إليه، وذلك عقب أحداث ملاجئ الجادرية حيث ازداد غيظه

واشتدّ طلبه فضحكت وقلت أبشر بما يسرك إن شاء الله تضرب رؤسهم في نفس المكان، إذهب مع فلان واستطلع فندق الحمراء وأرض الزهور ففيهما ما تحب وإليهم تجد، ولعل الله يرزقك من رؤسهم العفنة ما يرفع به درجتك ويشفي غيظك، وذهب واستطلع الهدف، ثم بشرني برؤيا رأها للنبي " صلى الله عليه وسلم " : " كان هو يحفر فيها قبره، وكان داخله من فضة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوجهه في الحفر.

فقلت الحمد لله أمرٌ يوجه فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو خير، والفضة خير من الذهب. ثم رأني في رؤيا أخرى وأنا أقول له أبشر فإن فيلق غدر " بدر " قد إنتهى ولم يبق منه إلا الأسم، وفي نفس الليلة رأى عزيز عليه هاتف يقول له إن حكم الشيعة في العراق انتهى.

فقلت تحصد إن شاء الله من رؤسهم الكثير الكثير، وهو ما تمّ والحمد لله رب العالمين.

وتعطلت العملية عدة مرات حتى أنه ركب السيارة وذهب ورجع لعوائق الطريق وغيره عدة مرات. لكن في ليلة التنفيذ كان أكثر إنشراحاً للصدر، وقال لي: إني اليوم منشرح الصدر وأشعر أني غداً سأذهب إن شاء الله، فذكرته بالله والأخلاص وما ينبغي لي فعله، ثم سألته السلام على من سبق من الأحاب وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبة الكرام، ثم قال لي " والله إني أحبك "، ففرحت بهذه الكلمة جداً وكأنا حزت الدنيا بخدافيرها فمثل أبي أيوب يجب مثلي أنه لخير كثير.

ثم استيقظنا مبكراً وودّعته ومما قال لي: " علم الله أني لم أذهب لوطنية ولا قومية ولكن دفاعاً عن ديني وأرضاءً لربي ولولا هذا ما ذهبت، إنه الواجب، إنه الواجب ". ثم أوصى إخوانه الأنصار بالمهاجرين وودّع الجميع وانصرف يمشي إلى هدفه وقد رآه العالم وهو يقترب من حاجز على بعد ١٠ أمتار من فندق هو امتداد لفندق الحمراء وليطيره ويفتح ثغره لإخوة من بعده، أسأل الله أن يتقبل منه ويعلي شأنه ويرفع درجته. آمين.

وهذه رسالة من قرية له:

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإنّ أخي محمد - رحمه الله - كان يحمل صفات الرجال منذ أن كان صغيراً، كان مصاباً بالربو وهو ابن عامين ولم يكن يتغفر قط من مرضه . . . كان صبوراً هادئاً ، من لا يعرفه يظن أنه ثقیل الدّم، ومن يعاشره يجده حلو المعشر خفيف الظل، بسيطاً رغم أن والديّ أعطياه من الأهتمام والعناية الشيء الكثير، أحبّه الجميع من الأقرباء والأصدقاء، لم أعرف له أعداء غير أعداء الله، كان - رحمه الله - والداً لنا رغم سنّه، طيباً وحنوناً، عفّ اللسان واليد والنظر، أجرى عملية تصحيح لبصره لإصابته بقصر النظر، وعندما نسأله عن السبب يقول: كي أصيب الهدف بدقة، كان أعظم ما يكون سعادة عندما يتواجد مع إخوانه في الله ويعود بعدها والفرح يغمره، ولا يستقر له قدم ولا يهدأ له بال في البيت .. يقضي جميع حوائجنا بدون كلل أو ملل، ويسألنا أن ندعو الله له بالشهادة ويقول: أتمنى أن أستشهد وأتزوج من الحور العين، لا رغبة لي في نساء الدّنيا، أذكر أنه عندما كان طالباً في الثانوية .. يسألني عن صفات الحور العين وحسنهن وجمالهن فأقول له: والله دعوت الله أن يزوجك لعه، يقول: وما لعبة؟ فأقول : سيدة الحور العين مكتوب على جبينها (طوبى لمن كنتُ له)، أُصيب قبل خمسة أشهر بدمل في خاصرته فأجريت له عملية جراحية وأخبرني أنه عندما بدأ المخدر بالعمل: قال " أحسست أن قلبي ينشد:

النور في عيوني ، والحور في يميني

و لازمني هذا الإحساس حتى افقت من التخدير، كان - رحمه الله - كتماً فيما يخص عمله ، لا يحب الرياء والتصنع ويكره الكذب وكان يخشى أن تفوته الشهادة لأنها فاتته عندما أجبر على ترك الفلوجة قبل الهجوم بليلة لسبب قهري، وطوال فترة العيد كان يعاود الذهاب الى عامرية الفلوجة ويحاول العبور ولم يفلح، وبقي حزيناً يتحين كل فرصة تأخذه إلى طريق الشهادة، كان يقول لي: يبدو أنني غير مقبول عند الله لأنني لم أستشهد لحد الآن، وخلال هذه السنة أتته - سبحانه الله - فرص عمل ثمينة في إنكلترا والأردن وماليزيا وكانت فرص العمل والدراسة أمامه كثيرة والكل يعرض عليه الزواج ويلح الوالد عليه ويأبى إلا أن يقدم نفسه للإسلام.. كان يجب الحديث عن قصص الشهداء ويصبرني قائلاً: يا أختاه للشهداء كرامة تظهر

بركتها على أهلهم وسيعوضهم الله خيراً عني، رأى بعد الإحتلال النبي صلى الله عليه وسلم يلتجأ إلى دارنا ويطلب منه أن يحميه عنده، فأولتها له أنك ستصبح حامياً لدين الله ورسوله، توافقت رؤية لي ولأختي في العيد وقد رأينا والدتنا المتوفاة وهي بأجمل صورة وأبهى حلة وبوجه يضيء كالشمس وهي فرحة مسرورة وكانت آخر رؤيا له بعد أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوجهه في حفر قبر لأيوب، وأخبرني أن داخل القبر من فضة ثم بات آخر ليلة قبل توجهه إلى إخوانه - في بيتي -، وبعد صلاة الفجر قال حلمت بأن ساعة يدي قطعت فأولتها له : لقد نفذ أجلك يا عزيزي والله أعلم.

وودعته ضاحكة وقبّلته وقلت له: لا تعد هذه المرة أبداً، ثم اتصل بي هاتفياً وصوته يضحك من السعادة ويقول لي : ألم تري رؤيا؟ قلت : لا، قال أنا أيضاً وشكى لي أن الأمر تأخر فقلت له لعل في ذلك صالح لك وودّعني.

كتب في وصيته لي: موعداً في الجنة إن شاء الله يا أختاه واثبتني فإنك على الحق وأوصى بحربة لديه لإبني المقبل وكتب لأختي : لا أستطيع ان اصف لك شعوري ومدى سعادتي بأن يختارني الله عز وجل لمثل هذا العمل .. هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، اليوم نلقى الأحبة محمداً وصحبه. و أوصانا بتقوى الله عز وجل والصبر وعدم الحزن.

كان يردد آخر أيامه نشيد " أعذروني يا رفاقه (رفاك) "، وأنشدت معه نشيده المفضل " و مجاهداً في الله ودع أهله ".

قمنا آخر ليلة وصلينا معاً وأوصاني ان أرسل ملابسه وإغراضه إلى إخوته في الله. كان يقول لي: ليس لدي أفضل من هذا الجسد أقدمه فداءً للإسلام. حزن لفراقه كل من عرفه لحسن خلقه وجميل طبعه.

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا عليك يا أيوب لمحزونون، ولكننا لا نقول ما يغضب الربّ، والحمد لله الذي شرفنا ورفعنا بشهادة أخي الحبيب، نسأل الله عز وجل أن يغفر لك ويرحمك ويتقبلك وأن يرزقنا نهاية سعيدة كنهايتك يا أخي الحبيب " اهـ.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وكتبه:

أبو اسماعيل المهاجر

